اتباع النبي ﷺ

خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٢٩ شوال ١٤٣٦ بمدينة دوسلدورف في ألمانيا

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً‌ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ‌ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ‌ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن ربّنا سبحانه حكيم عليم، ما فعل شيئًا إلا لحكمة، وما شرع شيئًا إلا لحكمة، فسبحانه مِن حكيم عليم.

إن ربّنا ﷻ خلقنا وأوجدنا من العدم، وربّانا بالنّعم، لحكمة عظيمة، أخبرنا بها، وأمرنا بها ﷻ، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥].

وبعث لنا الرسل معلّمين ومبيّنين، ومبشّرين ومنذرين، قال ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ‌ۖ﴾ [النحل:٣٦].

فجعل ربّنا سبحانه معرفة عبادته تكون عن طريق الأنبياء عليهم السلام، فلا يُعبد الله بالأهواء، ولا بالآراء، ولا بالعواطف، ولا بالاستحسان، وإنما يُعبد بما جاء به الأنبياء عليهم السلام.

وقد ختم الله الأنبياء عليهم السلام بسيّد ولد آدم أجمعين، محمد بن عبد الله ﷺ، ختم الله عز وجل به الأنبياء والمرسلين، وجعله رحمةً للعالمين، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وجعله أسوةً للمؤمنين، ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب:٢١]، جعله الله عز وجل ذا خلق عظيم، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم:٤]، وأمرنا باتباعه أجمعين، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر:٧].

الله عز وجل أكرمنا ببعثة محمد ﷺ، فأكمل له وبه الدين، وأنعم علينا بهذه النعمة العظمى، ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

فالعبد الموفّق -يا عباد الله- مَن ائْتَسَى برسول الله ﷺ، واتّبع سنته، فحقيق بالمؤمن الموفّق أن يحرص على تعلّم سنة النبي ﷺ، وعلى لزومها، وعلى أن يعرف سيرة النبي ﷺ، وعلى أن يُعَرِّف الناس بها.

إن ربنا سبحانه وتعالى لا يقبل من عبد عبادة إلا إذا أتت من طريق رسول الله ﷺ، ولذا قال نبينا ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ».

ومهما حسنت النوايا وصلحت القلوب، فإن الله لا يقبل العمل إلا إذا ثبت عن النبي ﷺ، جاء ثلاثة نفر من صحابة رسول الله ﷺ إلى بيوت النبي ﷺ، فسألوا عن عبادته، فلمّا أُخبروا بها كأنّهم تقالّوها، وقالوا: أين نحن من رسول الله ﷺ وقد غُفِر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر؟ فقال أحدهم: أمّا أنا فأصوم ولا أُفطِر، وقال الآخر: وأمّا أنا فأقوم الليل ولا أَرقُد، وقال الآخر: وأمّا أنا فلا أتزوّج النّساء، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فلمّا لَقِيَهُم قال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أمَا إني أصوم وأُفطِر، وأقوم وأَرقُد، وأتزوّج النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي».

هؤلاء صحابة من صحابة رسول الله ﷺ، نيّاتهم حسنة، يريدون إرضاء الله عز وجل، لكنّهم لّما أحدثوا أمرًا قال لهم النبي ﷺ: «فمن رغب عن سنّتي فليس منّي»، وهذه الجملة -يا عباد الله- قائمةٌ ما قام هذا الدين، فمن رغب عن سنّة النبي ﷺ، وأحدث عبادةً يتقرّب بها إلى الله لم تأت عن رسول الله ﷺ فإنّه يدخل في هذه الجملة، «فمن رغب عن سنتي فليس مني».

ولذلك -يا عباد الله- لّما مرّ أبو موسى الأشعري رضي الله عنه بقوم قد جلسوا في مسجد الكوفة ولهم إمام يقول: هلّلوا مائة، فيهلّلون، سبّحوا مائة، فيسبّحون، كبّروا مائة، فيكبّرون، ذهب إلى دار ابن مسعود

ﷺ، فلمّا خرج ابن مسعود ﷺ قال له أبو موسى الأشعري ﷺ: لقد رأيت اليوم عجبًا، رأيت قومًا يفعلون كذا وكذا، قال: فما صنعت لهم؟ قال: أتيت أنظر رأيك، قال: انطلق بنا إليهم، فلمّا وقفا على القوم قال ابن مسعود ﷺ مُخاطبًا أولئك القوم: أمَا إنّكم أهدى من أصحاب رسول الله ﷺ أو مفتتحو باب ضلالة، قالوا: سبحان الله يا ابن مسعود، ما أردنا إلا الخير! فقال ﷺ: كم من مريد للخير لم يدركه!

إنّ اتباع النبي ﷺ أصل كل خير يا عباد الله، فمن اتّبع النبي ﷺ ولزم سنّته حلّت في قلبه الطمأنينة، ونزل عليه الأمن والسكينة، وكيف لا يكون الأمر كذلك -يا عباد الله- وفي اتباع النبي ﷺ تحقيق التوحيد، والتوحيد أعظم شيء وُصِف، وأعظم فرض عُرِف؟ كيف لا وهو حق ربنا ﷻ، وربنا ﷻ يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام:٨٢]؟

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: فوحّدوا الله ﷻ، ولم يَخلِطوا إيمانهم بشرك، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾.

كيف لا يكون الأمر كذلك -يا عباد الله- وفي اتباع سنة النبي ﷺ تحقيق الإيمان والعمل الصالح؟ فإن الله ﷻ يقول: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾ [النحل:٩٦].

الله أكبر يا عباد الله! ما أعظم هذه الآية! شرطٌ من ربنا ﷻ، وجزاءٌ منه ﷻ، من عمل صالحًا وهو مؤمن -من ذكر أو أنثى- ما جزاؤه؟ فإنّ جزاءه أن يُحيِيَه الله الحياة الطيّبة، ومَن طَيَّبَ الله حياته، مَن ذا الذي يُنَغِّصُ عليه؟ مَن طَيَّبَ الله حياته، مَن يستطيع أن يُنَكِّدَ عليه هذه الحياة؟

قال أكثر السلف: إن الله يطيّب حياة المؤمن الحريص على العمل الصالح بالقناعة في الدنيا، ومن رُزِق القناعة في الدنيا حصلت له الحياة الطيّبة، ورضي بما آتاه الله ﷻ.

كيف لا يكون الأمر كذلك -يا عباد الله- ومن اتبع سنة النبي ﷺ يُعَلِّق قلبه بالآخرة؟ يعيش في الدنيا ولا يعيش لها، يعلّق قلبه بالآخرة، وقد قال النبي ﷺ: «ومن كانت الآخرة نيّته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة».

كيف لا يكون الأمر كذلك -يا عباد الله- وفي اتباع النبي ﷺ العمل بالأخلاق الحسنة؟ ولن تطيب الحياة إلا لمن يتخلّق بالأخلاق الحسنة، ولن يُزاد الميزان يوم القيامة بمثل حسن الخلق، فما من شيء أثقل في الميزان يوم القيامة من حسن الخلق.

كيف لا يكون الأمر كذلك -يا عباد الله- وفي اتباع سنة النبي ﷺ الرحمة للناس، واللين وعدم الغلظة؟ فإن الله عز وجل قال في نبيّه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران:١٥٩].

عباد الله، عباد الله! إن الخير كله في الدنيا والآخرة مركوز تحت راية محمد بن عبد الله ﷺ، فمن لزم سنة النبي ﷺ حصّل الخير العظيم، وكان في الدنيا طيّبًا، وفي الآخرة فائزًا.

فاتقوا الله عباد الله، وتعلّموا سنّة النبي ﷺ، وما كان منها فرضًا فالزموه ولا تضيّعوه، وما لم يكن فرضًا فاعملوا به ما استطعتم، ما لم يشقّ عليكم أو يجلب لكم ضررًا، فإنّ من سنة النبي ﷺ أنّه ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثمًا.

فالمسلم الموفّق -يا عباد الله- يلزم الواجبات الثابتات عن رسول الله ﷺ، ويعمل بما يستطيع من سنن النبي ﷺ، فإذا شقّ عليه ذلك أو كان يجلب عليه ضررًا فإنه يختار سنّة النبي ﷺ في الأمور التي يُخيَّر فيها، فيختار الأيسر، ما لم يكن إثمًا.

فاتقوا الله عباد الله، وتأمّلوا في أحوالكم مع سنّة رسول الله ﷺ، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، وليسأل الله الثبات، ومن وجد تقصيرًا فليجتهد وليرجع إلى الله سبحانه وتعالى، لعلّكم تفلحون.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية: وصايا لمسلمي ألمانيا]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد، فمعاشر المؤمنين في ألمانيا، أحبتي في الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله حق التقوى، فإن أجسادكم على النار لا تقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أوصيكم بلزوم إسلامكم والتمسّك بدينكم، فإنّه لا خير لكم، ولا فلاح لكم، ولا نجاح لكم، ولا سعادة لكم، إلا بالتمسّك بدينكم.

أوصيكم -عباد الله- بالعمل بأنظمة البلاد التي تعيشون فيها، في غير معصية الله ﷻ، وبالعمل بالمواثيق والعهود التي قدّمتموها للدولة التي تعيشون فيها، في غير معصية الله، فإنّ ذلك من أصول دينكم وأمور دينكم العظمى.

وأوصيكم -عباد الله- بتربية أبنائكم، والحرص عليهم من أصحاب الشهوات وأصحاب الشبهات، فإنّ هذين الأمرين أعداء الدين، ولا سيما -يا عباد الله- ما يقع اليوم في وسائل التواصل الاجتماعي من وصول إلى الأبناء، حتى في داخل البيوت، يُزيَّن لهم الباطل.

ومن أخطر ذلك ما يقوم به خوارج العصر من دعوة أبناء المسلمين إلى اعتناق أفكارهم، والخروج من ديارهم والالتحاق بأولئك الخوارج، فإنّ هذا من الشرّ المبين، وإن الواجب على الأب وعلى الأم أن يحرصا على أبنائهما وبناتهما، وأن يُبيّنا لهم أنّ هذا الأمر شرّ لا يقبله الدين، وأنّ علماء المسلمين لا يرضون بهذا، ويبيّنون أنّ هذا الأمر مخالف لدين الله ﷻ.

وإيّاكم -معاشر المؤمنين- أن تتعاطفوا أو تؤيّدوا الأعمال الإجراميّة التي يقوم بها شرذمة شاذّة من المسلمين، وينسبونها إلى الإسلام زورًا وبهتانًا، من تقتيل الناس بغير إذن من الله ولا برهان بيّن، ومن القتل بصورة شنيعة تأباها الفطرة السوية فضلاً عن دين الحنيفية، ومن الدخول إلى ديار الناس، والتفجير فيها والتدمير، وترويع الآمنين، فإنّ ذلك -يا عباد الله- مُنكَر عظيم يأباه دينكم، وليس من الدين في شيء.

فاتقوا الله عباد الله، وتعلّموا أمور دينكم، ولا تغترّوا بكلام بعض المزخرفين للكلام، ولا بالعواطف العواصف، والزموا ما يقوله العلماء الكبار، فإنّ في ذلك الخير لكم في الدنيا والآخرة.

عباد الله! عباد الله! علينا جميعًا أن نعتزّ بديننا في أيّ بلد كنّا وفي أي مكان كنّا، ولا سيّما إذا كنّا نعيش مع غير المسلمين، فإنّ ذلك يبيّن لنا صفاء ديننا ونقاء ديننا، فنسأل الله ﷻ أن يثبّتنا على ديننا إلى الممات.

عباد الله، عباد الله! إن الله ﷻ أمركم بأمر عظيم، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنّى بملائكته، فقال –عز من قائل–: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

فاللهمّ صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلّم تسليمًا كثيرًا، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ اجعلنا ممن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين، اللهمّ اجعلنا ممن رضيت عنهم، اللهمّ اجعلنا ممن رضيت عنهم، اللهمّ اجعلنا ممن رضيت عنهم.

اللهمّ ما كان من عمل تحبّه اللهمّ فقرّبنا إليه، واجعلنا من أهله يا رب العالمين، وما كان من عمل تُبغضه اللهمّ فباعد بيننا وبينه كما باعدت بين المشرق والمغرب يا رب العالمين.

اللهمّ اهدنا أجمعين، اللهمّ اهدنا أجمعين، اللهمّ اهدنا أجمعين، اللهمّ اهد شبابنا، اللهمّ اهد نساءنا، اللهمّ –يا ربنا– نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تهدي ضالّ المسلمين، وأن تردّهم إلى الحق يا رب العالمين.

اللهمّ اهدنا إلى الحق وثبّتنا عليه، اللهمّ اهدنا إلى الحق وثبّتنا عليه، اللهمّ اهدنا إلى الحق وثبّتنا عليه.

اللهمّ أكرمنا بسنة محمد ﷺ، اللهمّ أكرمنا بها، اللهمّ أكرمنا بها، اللهمّ أكرمنا بها.

اللهمّ يا ربنا، يا حي يا قيوم، يا بديع السماوات والأرض، نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى، كما جمعتنا في هذا المسجد المبارك، في هذه الفريضة العظيمة، أن تجمعنا ووالدينا وأهلنا ومن نحبّ في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهمّ لا تحرم منا أحدًا، اللهمّ لا تحرم منا أحدًا، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا.

اللهمّ إنّا ظلمنا أنفسنا ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا من عندك مغفرة وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم، اللهمّ اغفر لنا ذنوبنا، اللهمّ اغفر لنا ذنوبنا.

اللهمّ إنا عباد من عبادك، اجتمعنا في بيت من بيوتك، نؤدّي فريضة عظيمة من فرائضك، نرجو رحمتك ونخاف عذابك، اللهمّ فارحمنا أجمعين، اللهمّ فارحمنا أجمعين، اللهمّ فارحمنا أجمعين، وأمّنّا من عذابك يا أرحم الراحمين، اللهمّ أمّنّا من عذابك يا أرحم الراحمين، اللهمّ أمّنّا من عذابك يا أرحم الراحمين.

اللهمّ اجعل الرحمة في قلوبنا، اللهمّ اجعل الرحمة في قلوبنا، اللهمّ اجعل الرحمة في قلوبنا، اللهمّ طيّب حياتنا يا رب العالمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نِعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العنكبوت:٤٥].